قصص قصيرة

لطفية الدليمي

كابوتشينو

كلُّ مَنْ فرّقه الدهرُ عن أهل لسانه يصبح بلا لسان، حتى ولو سُمعَ له مائةُ صوت..
جلال الدين الرومي (المثنويّ)

تذوّق «فرات» قهوة الكابوتشينو لأوّل مرة في مساء شتائيّ بعد بدء الحصار بعامَيْن، حين دعته فتاةٌ جميلة إلى احتساء الكابوتشينو معها في كافيتريا «غاردينيا» لأجل التغيير والمرح ولإغاظة صديقٍ أهملها.

منذ تلك اللحظة الزائفة أدخلته الفتاةُ في خطيئة حب الكابوتشينو، هذا الابتكار الإيطاليّ الفقاعيّ الذي هو نوع من احتيال ذوقيّ لتغيير حقيقة الحليب والقهوة معاً... إنْ كان ثمّة حقيقة لأيّ شيء.

وهكذا استأصلت الكابوتشينو بغتةً ذائقة «فرات» من اعتراض العادات التي تحيط بتكوينات شخصه، فتشابك وقته المضطرب ٠٠مع وجه الفتاة التي اختفت في طرقات حي المنصور، ولبث بعدها يترنّح في العشق الافتراضيّ، مدفوعاً بشهيّة طاغية للكابوتشينو. فحاول أن يتعلّم إعداده بوسائله البيتيّة وبعون من أمه، لكنّه فشل. فتوجه بعد أسبوع من فقدانه الفتاةَ إلى الكافيتيريا، مفترضاً أنه سيجدها؛ أليس كل شيء في هذا العالم يقوم على افتراضاتٍ وربما أوهامٍ ما وراء ـ واقعية؟

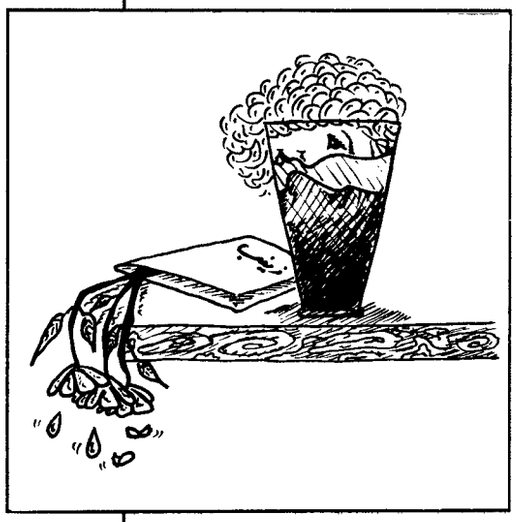

هكذا قال فرات لنفسه... وجلس إلى إحدى الموائد الخمس وطلب كابوتشينو، فاعتذر النادل لانقطاع التيار الكهربائيّ:

ـ يمكنك احتساء القهوة العاديّة، أو عصير البرتقال، أو الشاي.

خرج فرات وتقبّل ضراوة هذا الحبّ القاسي لرغوة الكابوتشينو وهو يحاول أن يفلت من هذا المأزق الذي أدخلته فيه الفتاة المجهولة. ولكنّه ازداد تخبُّطاً في حيرته، وهو الذي لم يَعرف لها أسماء. وقالت له: سمِّني ما تشاء من الأسماء»، فناداها: «كوفي.. قهوتي الجميلة أنتِ».. ضحكتْ واختفتْ مثل رغوةٍ لامسها الهواء..

*

كي يصبح ما يحلم به فرات في مرمى شبكته كما يقول (وكان جده صيّادَ سمك في الشواكة بكرخ بغداد)، كان لا بدّ أن يَفْتك بشخصٍ ما.. أن يَقْتل ـ ولو مجازاً ـ أيّ أحدٍ أو يدمّر أشياء ليردم المسافة بين مستحيل الحلم وإمكانية الواقع المحتملة.

سوف يبدأ حتماً بالنظر في معضلةِ اسمهِ المائيّ الرقراق: «فرات». فالاسم هو أول إشارة إلى وجوده، ولن يكون بوسع مصيره أن يتغيّر ما دام مكبّلاً إلى مائيّات هذا الاسم.

ولكنْ قبل أن يشرع في التغيير، كان عليه أن يعثر على إجابة ما عن أسئلةٍ تترادف في خاطره منذ تعرّف هنا، في مدينة روزنبورغ السويديّة، على هذه المرأة الإيطاليّة «باولا». أسئلة تداهمه كل آونة، ويحاول تفاديها أو نسيانها، لكنّها تعاود البزوغ في أفقه وتصبح أشدّ سطوةً من رغباته الراهنة.

يتساءل فرات: ترى كم هي المسافة بين مذاق الدبس العراقيّ أو «استكان» الشاي المحضَّر بالهيل فوق السماور، وبين مذاق قهوة الكابوتشينو؟

كان بوسعه أن يجيب تواً بمنطق الجغرافيا الذي لم يعد مجدياً في عصر صناعة التاريخ: إنّها كالمسافة بين البادية الغربية في بلاده وبين مبنى الكوليزيوم في روما... وسوف تكون عندئذٍ مسافةً بَصَريّة ـ أرضيّة، محسوبةً بالتضاريس والقياصرة والرمال والجيوش والمياه وحكماء البداوة وفلاسفة الحضارة. وخُيِّل إليه لبرهة أمل أنّ هذه المسافة الافتراضيّة لا تعدو كونها عملية قتلٍ صغيرة، يمارسها على جزء من جسده: هو الذاكرة التي تشوِّش وعيه وتُفْسد خططه الكثيرة. وبهذه العمليّة الخفيّة سوف يردم المسافة المخاتلة الخطرة التي تنفغر أمامه وتراوده وتراوغه باحتمالات مختلفة.

رأى المسافة أول الأمر موثقّةً على خرائط الحواس بالنحيب العتيق الذي يتردّد صداه بين البيوت المهجورة. رآها مكتظةً بالمنتحرين والموهومين ورجال الغبار ونساء الدموع والأقنعة التي تتجوّل على أجسادٍ من هواء. رأى المسافة مأهولة بوجوه صارخة، بأحياء هلعين، وموتى، بمدن مسفوكة الدم، ومدنٍ مصاصةِ دماءٍ.. ثم رآها مضاءةً بالنساء الشقراوات والمتع المباحة والميادين البوهيمية والمطاعم التحت أرضية والموسيقى... ثم رآها مدججةً بقوات دوليّة ومفتِّشين يحدِّقون من بؤر عمياء وجلاّدين بقفازات حرير وأصدقاء طاعنين في الدسائس.

هل هذه هي حقاً المسافة بين قدح الشاي وقدح الكابوتشينو؟ مسافةُ تاريخ مضطرب، وحاضر ملغوم بالمفاجآت، لا مسافة تضاريس وبحار ومفازات؟

فليَقْلب السؤالَ على وجهه الحقيقيّ دون بلاغة أو استعارات. لن يلجأ إلى المجاز بل سيكون السؤال هكذا:

ـ كم هي المسافة بين حب زينب البغدادية، وبين العشق اللاتينيّ الذي اقتنصته به الإيطاليةُ الشقراء؟

ربما هي المسافة ذاتها بين الفتى البغداديّ، خرِّيج قسم اللُّغة العربيّة في كليّة الآداب، وبين هذا النادل المتصلّب في رداء العمل وهو يُحني عنقه المثقلَ بحلم النعيم الأوروبيّ، رغبة الفردوس، صخرةً ترتهن بها أعناقُ الموهومين.

لا.. لا.. سيُشفى من ويل الأسئلة والإجابات التي تشير إلى نكوص محتمل. وسوف يقوم بإجراءات واقعيّة تشفيه من رومانسيات حبّه البغداديّ وعبوديّة الأمكنة الشبحيّة التي تركها وراء حنينه المتلاشي..

سيتحوّل كل شيء غادَرَه إلى موضوع وهم مأهول بالهواء والكائنات الخفيفة اللامرئيّة، زينب وأمه وأهله جميعاً، وكل الذين يكبِّلونَ مخيِّلته ويلوّحون له من ذلك المدى الدخانيّ المائيّ الصحراويّ. سيبدأ إجراءات التحوُّل هكذا: سيغتسل بذوب الجليد القطبيّ في مدينة روزنبورغ، وسوف يَهْجر معارفه هنا ـ عرباً وعراقيِّين مهاجرين ـ ويرسلهم إلى المدى الدخانيّ ليجفّوا مع الذين تركهم هناك. سيتّجه غرباً أو جنوباً، والجنوب هنا غير الجنوب الذي تفسِّره تأويلاتُ «منظمة التجارة العالميّة» و«نادي الأغنياء السبعة»؛ جنوب السويد قلب أوروبا، وأوروبا بأجمعها تقع جنوب هذا البلد؛ ولكنْ هل تعدّ إيطاليا من دول الجنوب في المفهوم الاقتصاديّ العالميّ؟ سوف يراجع صحيفة الفايتنشال تايمز، ويقرأ العدد الخاص بمؤتمر نادي التجارة العالميّة في مدينة «سياتل» الأميركيّة، وبعدها سيحدّد اتجاهه. ولكنْ لا.. سوف يَتْبع هذه الشقراء حتى لو أخذته إلى طرقات الجنوب، أيِّ جنوبٍ سوى جنوبه الشخصيّ. سيغيّر اسمه المائيّ المكرَّس لعذوبة الأزل النهريّ (فرات عبد الحسن شاطي) عندما يَصْحبها إلى مدينتها الساحرة فلورنسا الإيطاليّة فتناديه كما نادته قبل أيام:

ـ سنيور شاتي..

سنيور شاتي الذي يقدِّم المشروبات لروّاد مقهاها الفلورنسيّ الجميل.

*

آخر رسالة تلقّاها فرات عبد الحسن شاطي من زينب البغداديّة هي الرسالة التي اقتصرتْ على ورقة واحدة مطوية على زهرات بنفسج مجفّفة وعليها كلماتٌ متناثرة. لم تكتب زينب شيئاً آخر، وبدا أنّها تتجنّب البوح وتلْجم الكلماتِ والشوقَ وتغدق عليه ألغازها: «غاردينيا»، «بوي زون»، «آس»، «زنجبيل»، «حريمة»، «كمثرى»، «طائرة»، «جمجمة»، «أبيض»، «أسود». يضحك فرات من لعبتها ومن الرسالة المشفّرة. تسقط الزهرات الزرق الجافّة على الأرض.. الأرض الأخرى. يضحك من غموض زينب البغداديّة، فلا يتوصّل في القراءة الأولى إلى فكّ علاماتها اللغويّة. ينام.. ينام.. يفيق. يشغّل المذياع، فلا يعثر على موقع يتوقّف عنده. يسمع صوت زينب. يسمع هسيس الزمن يتلظّى في أزقةِ صباه.. زمن شمسيّ، أو زحليّ ثقيل. تضيع منه رائحة الصبا.. يفقد اللون الرمليّ لجدران البيت القديم.

بعد خمس ساعات ينهض في العاشرة، في وقت يفترض فيه أنّه صباح المدينة، وهو هزيعُ ليلٍ مستديم، له زرقة نيلية قطبيّة ثقيلة. يقلّب الرسالة المشفّرة:

«غاردينيا» هي الكافيتريا ذاتها التي اكتشفها مع الفتاة العابرة الغامضة، التقى زينب فيها قبل هجرته بيوم واحد واقترح عليها أن يحتسيا الكابوتشينو.

قالت زينب: أحب القهوة التركية..

ـ ستعجبك قهوة الكابوتشينو.

أحضر النادل قدحيْن خزفيين تعلوهما الرغوةُ الحليبيّة الدسمة المرقطة بحبيبات النسكافيه. وعندما ارتشفتْ زينب الرغوة البيضاء عن قدحها قبل أن تحرّك محتوى القدح بالملعقة ظهر المزيجُ الهجينُ تحتها: لا هو بالحليب، ولا هو بالقهوة: لون عكرٌ تذوقته وعافته نفسها!

ـ لماذا لا نحسم الأمر ببساطة ونحتسي كلّ شيء بمذاقه الخاص؟

آنذاك ضحك منها:

ـ عندما تسافرين إلى بلاد أخرى، سترين أنّ الأشياء لا تكون كما تريدينها خالصةً ذاتَ حدود وميزات. هناك، الآن تتمازج الأشياء، وتختلط الصفات في حضارة واحدة. كفّي عن تعصُّبك الصبيانيّ لأشيائك.

سمعا في هذا المقهى أغاني لفريق «بوي زون»، وفي التاكسي سمعا أغنية «حريمة» لحسين نعمة، ولدى الباب ـ باب بيته ـ استقبلته أمه بصينية تزخر بأغصان الآس والشموع، لتودعه بالخضرة والضوء بحسب عاداتٍ بغداديّةٍ قديمة؛ وقد وَضَعت الصينية على مائدة صغيرة بين زينب وفرات، وقدّمتْ لهما مشروب الزنجبيل الذي توارثتْ طريقةَ إعداده عن أهلها: تمزج الدبسَ النقيَّ مع خل التمر الأشقر ومسحوق الزنجبيل الهنديّ ـ هكذا قالت أمه.. وبصوت يفوح منه شذا الزنجبيل القويّ قال فرات:

ـ عندما أستقر في بلد الهجرة سأرسل في طلبك لتلتحقي بي ونتزوج هناك..

خرجا إلى الحديقة. كانت مقاعد من الخيزران قد رُصّت تحت شجرة الكمثرى المزهرة. جمع فرات زهور الكمثرى البيضاء المرقّطة باللّون الورديّ بعطرها اللقاحيّ الخفيّ ونَظَمَها فوق شعرها نظير إكليل زفاف، ثم قبّلها قبلته الأولى والأخيرة التي وثّقها برائحة الكابوتشينو والزنجبيل معاً.

الطائرة؟.. هل تريد القول إنّها تتعجّل الالتحاق به؟ وتُلحقها بالجمجمة والأبيض والأسود دلالاتِ فناءٍ وموتٍ وحزن؟

ضحك فرات ضحكةً هستيريّةً نزقة: زينب البغداديّة تتعامل بشفرات اللُّغة التي لا تملك سواها، بديلَ رسالةٍ اليكترونيّة عبر الانترنيت الذي لم تعرفه بعد.

لكلمات زينب المشفّرة روائحُ وألوانٌ وأصواتٌ لها سطوة رغم المسافة، وهو يخشى أن تدس هذه الكلماتُ رؤوسَها المدبَّبة في وقته القطبيّ وعشقِه الجديد لعالم لا تعرفه زينب.. لذا سوف يجرد الرسالة من إشاراتها الحسيّة، ويمزقها، ويلقي بها في القمامة، ويُنسى.

*

متعجّلاً، مرتبكاً، هارباً من أشباح اللُّغة الآتية من هناك، يغتسل تحت مرذاذ الماء الساخن، كأنّه يحاول التخلُّص من خصائص وجوده الأوليّة، ليصبح متناغماً مع بذلة العمل الزرقاء المزيّنة بشرائط مخمل سوداء، وعلى جيب سترتها رسمُ لسفينة من سفن الڤايكنغ تلتمع بذهب زائف، ويُثبت باجاً يحمل اسمه بالحروف اللاتينيّة: F.A.Shati. ينادونه في مقهى الڤايكنغ: شاتي. يضحك أحد رواد المقهى من العرب ويُهَمْهِم لنفسه:

ـ شاتي؟.. ربما ثمّة شاة برسم البيع...

المقهى هو سفينة ڤايكنغ مستحدثة، ترسو في مياهٍ نصف متجمّدة، تزيّن جدرانَها الخشبيّةَ دروعُ محاربي الڤايكنغ ورماحُهم وفؤوسُهم، وتتصدّر مدخلَها تماثيلُ لأبطالِ ملاحمهم النورديّة. وفي هذه السفينة التي تُوهِم بحضور أزمنة غابرة يلتقي أبناءُ هذا الزمان القادمون من جهات الدنيا.

تستقبل مدينة روزنبورغ أفواجَ سياح من جهات أوروبا: من جنوبها بمزاجه المتوسطيّ المتغيّر، ومن غربها الصناعيّ المتجهّم، وشرقِها الذي يعالج ندبةَ الاشتراكيّة بارتداء الجينز وتناول الهامبرغر من مطاعم ماكدونالدز ويحاول أن ينسى بقراءة كتب «البَست سَلرز» الأميركيّة أكثر الكتب مبيعاً في محطات المترو والقطارات السريعة. هنا أيضاً خليط من بشر: عرب وافارقة واسيويُّون.. هنا يلتقي فرات في بلاد الڤايكنغ بأناس يرومون تغييرَ سحناتهم ونبراتهم لعلّ حظوظهم تتبدّل وتتّجه أقدارُهم بعكس ما قُدِّر لها. هنا يلتقي فرات بتشكُّل حضاريّ زائف هش... فماذا سيفعل هو، فرات عبد الحسن شاطي المعروف بـ «شاتي»، بسحنته السمراء التي تشير إلى أكثر من ألف عام من الشموس التي أنضجتْ صفات هذا العِرق العربيّ الصحراويّ المفعم بأنين الرمال وشهقاتِ الطوفان وأعرافِ القبيل ودم الآلهة الخاطئة؟

ينسيه دخولُ الفوج السياحيّ الإيطاليّ يأسَه من لون وجهه. تبهره وتعزيه وجوهُ الإيطاليِّين التي لوّحتْها شمسُ المتوسط : وجوهُ شقر نحاسيّة، سمرٌ متوهِّجة، تنعكس على قسماتها المرحة الظلالُ الحمراءُ لأضواء المشاعل التي حوّلتْ جوَّ المقهى إلى جوّ حانةٍ تفوح بالخدر والأصوات والأغاني والضحكات محفوفةً بعطر راتنج شجر الشربين الذي يشع من خشب الجدران. يطلب الإيطاليُّون أشربة متنوِّعة، يطلبون شاي تفاح وقهوة فرنسيّة مقطّرة، يطلبون شراب «زنزانو» و«بيرنود» ونبيذ «بوجوليه» ومارتيني، يطلبون ليكور اللوز والكرز، يطلب رجل ضخم عابس بيرةً سوداء.

سيدة واحدة كانت تنفرد على مائدة في القطاع الذي يَخْدم فرات ضمن حدوده، تطلب منه قدح كاپوتشينو. يحدِّق فرات مبهوراً إلى بشرتها الثلجيّة التي يتناثر فوقها نَمَشٌ ناعم. يراها مثل رغوة الكاپوتشينو التي نثروا عليها حبيبات النسكافيه. لم يستطع التكهن بحقيقة عمرها، فهي سيدةٌ ناضجة كبيرة بصوتٍ صبية مُغْوية.

ـ سي سنيورة..

قال فرات لنفسه: لعلها هي.. إنّها هي التي أبحث عنها.. الإيطاليّة التي أشتهي.

بعد قليل قدَّم لها قدح الكاپوتشينو الساخن مع نظرة مائية. تجاهلتْ نظرته متعمِّدةً، وانحنت تتنشّق عبير القهوة.

ينظر فرات إلى عنقها العاري الذي رفعتْ عنه شعرها الأشقر. قالت: «سكوزا.. أريد الكابوتشينو بنكهة شرقيّة ـ بالسينامون، (القرفة)»، وتحدق إلى اسمه المكتوب على الباج: «سنيور شاتي». ينتشي فرات بجذل ذكوريّ واعتزاز لم يشعر بهما من قبل في هذه البلاد المثلجة. تردِّد الإيطاليّة الجميلة:

ـ أريده بالسينامون، سنيور شاتي..

ـ سي سنيوره.. أونو منيتو (نعم سيدتي، دقيقة واحدة).

قالت المرأة: إنّه هو.. هذا الذي كنتُ أبحث عنه.

هل قالت ذلك؟.. خيّل إليه أنها قالت.. لم تقل. لكنّه عندما عاد إليها بقدح الكابوتشينو معطّراً بالقرفة، قال لنفسه: نحن نسميه «الدارسين».. في بغداد يسمُّونه الدارسين، نرشه فوق الهريسة في يوم عاشوراء.. هنا يرشونه فوق القهوة في ليلة قدر.. ليلة قدري..

ـ سنيور شاتي، أأنت شرقيّ؟

ـ إنْ شئتِ ذلك سأكون شرقيّاً في التوّ.. سنيورة..

ـ غراتسي (شكراً). أنت تركيّ؟..

ـ نو، سنيورة..

ـ أفغاني؟.. نو.. دعني أحزر.. أنت إيرانيّ؟ وربما.. لبنانيّ؟

ـ نو، سنيورة. أنا عراقيّ من بغداد..

ـ أوه.. سي.. سي.. بغداد.. هل رأيتَ ايطاليا؟

ـ نو، سنيورة.. أتمنى ذلك...

ـ سنيور شاتي، هل أنت مرتبط هذه اللّيلة؟

ـ نو، سنيورة..

ـ إذن، زُرْني في فندق «اندرسون إن» بعد انتهاء عملك.

ـ .. .. سي.. سي، سنيورة..

ـ لكنْ عليك أن تجيد إعداد الكابوتشينو بنكهة السينامون ـ الشرقيّة.

ـ ألم يعجبك الكابوتشينو؟

ـ أتظن أنني كنت سأدعوك لو لم يعجبني؟

*

لم يقل فرات وداعاً لأحد من معارفه المعدودين في روزنبورغ، وافتعل شجاراً مع «سلوان» ابن خالته وشقيقِ زينب البغداديّة. ثم حزم حقيبته الوحيدة وغادر سكنهم المشترك ليلتحق بالسنيورة باولا في فندقِ اندرسون إن.

تحدثت السنيورة باولا إلى القنصل الإيطاليّ، وحصلتْ لفرات على إذنٍ بزيارة ايطاليا. وقالت: «سأهيِّئ أوراق الزواج المدنيّ في بلدية فلورنسا».

في طائرة أليطاليا حدثتْه عن حياتها باقتضاب:

ـ تزوجتُ مرتَيْن، لي ولدان مراهقان من طليقي الثاني، الزوج الكحوليّ الذي يعمل في مصنع للسيارات ويعيش في ناپولي. يقيم الولدان معي في فلورنسا، وفي الشقة المجاورة يقيم والدي ماتيو دي غاليانو طبيبُ الأسنان المتقاعد وأمي ماريا.

في شرفة شقتها المطلّة على ميدان سان پيترو قالت له:

ـ ها هو ابني جونو، يتعلّم في المدرسة الثانويّة. وهذا پيترو..

مدّ يده ليصافح الولدَيْن.. انسحب جونو دون كلمة، وكذلك فعل پيترو.

في اليوم التالي وجدتْ رسالةً مقتضبة غاضبة من جونو: «أنا راحل إلى أبي في ناپولي، لن أطيق رؤية هذا الرجل الملوّن في بيت أعيش فيه».

قال أبوها د. ماتيو دي غاليانو، وهو يروي شجرة بونساي صنوبريّة مقزّمة في شرفة الشقة:

ـ ولكنْ أتعرفون في بلادكم قهوة الكاپوتشينو وطبق الرافيولي؟

ـ نعم نعرف كل ما لديكم. في بغداد يوجد مطعم إيطاليّ. أنتم لا تعرفون عنا شيئاً.

ـ سكوزا، سنيور شاتي، نعرف أخبار حروبكم. ثم أليست بلادكم بلاد ألف ليلة وليلة؟

ـ ربما.. هي ذاتها، وربما هي شيء آخر لا يعرفه أحدٌ على الإطلاق.

ـ إذن، دعنا نتعارف جيداً باحتساء نخب من السنزانو..

تقول پاولا:

ـ بل سنشرب الكاپوتشينو أولاً، لأنّه سبب تعارفنا. سيعدّه لنا فرات بطريقته.

تتنشّق السيدة ماريا شذا القرفة، ثم تغمض عينَيْها لبرهة متعة. تقول پاولا:

ـ ذلك يعني أنّها في غاية الرضا.

يحرّك فرات بالملعقة محتويات قدحه فتتساقط فقاعات من الرغوة البيضاء في الطبق. يظهر الشراب الذي له لون ماءٍ نهريّ عكر...

يجيء صوت زينب: «أليس من الأفضل أن نحتسي كل شيء بمفرده خالصاً؟»

يحتسي بنوع من الذهول وهو ينظر إلى عنق پاولا الجميل. يقول السيد ماتيو دي غاليانو:

ـ أتدري، سنيور شاتي، أنّ الكاپوتشينو ابتكارٌ ايطاليّ عرفناه سنة ١٩٤٨ بعد الحرب، وانتشر في مقاهي روما وناپولي وفلورنسا؟ يقال إنّ مبتكره هو السيد لوي كاپوتشينو، وقد أعجب الجنودُ الأميركيُّون بالمشروب، وكانوا يأتون من ثكناتهم للبحث عن الفتيات واحتساء الكاپوتشينو في المقاهي المنتشرة على الأرصفة حتى توهم الكثيرون أنّ الكاپوتشينو مشروب أميركيّ.. لكنّه في الحقيقة ازدهر وانتشر برغبة أميركيّة.. مؤكد أنهم هم الذين روّجوا انتشاره.

*

بعد عمله الليليّ في مقهى «فلورا دي إسپرانس»، مقهى «زهرة الأمل» في فلورنسا، كان يعود مع السنيورة پاولا إلى شقتها مشحناً بالروائح والأصوات الممطوطة المتداخلة المتطاولة للغة الإيطاليّة. بدا الأمرُ مريعاً في البداية. كانت اللُّغة الإيطاليّة شديدة الإثارة، حادةً وكثيفةً وصريحةً وحادة أكثر مما ينبغي للُّغة عصرية.

يعود إلى سرير پاولا الذي عَبَرَ من خلاله إلى زمن آخر. سريرُ پاولا العتيق يئنّ مثل جسده المرهق الذي فككته الحركةُ الراكضةُ بين الموائد والوجوه والرغبات. على سرير پاولا تنهمر فيوضُ لغتُه المكبوحة، تنهمر في الليل الأغاني التي تكلستْ عليها عظامُه، تنهمر الأحاديثُ وتتعالى قصائد قديمة، أبياتٌ حفظها لأبي تمام والمتنبي، أقوالٌ وأصواتٌ، حتى تغطيه الكلمات وهو يحاول أن يُفْلت من حصارها، واللُّغة تكاد تُطْبق على روحه كابوسَ موتٍ أليم.

عندما تكرر هذا الأمر في الليالي التاليات أيقن فرات أنه لم ينجح في ردم المسافة: فليس من علاقة تشير إلى ذلك، ولا إشارة تدلّ على التحوُّل، سوى وثيقة الزواج المدنيّ والجسدِ الأبيض الذي له نكهةُ لغةٍ حادةٍ ممطوطةٍ صاخبة.

هنا تتصادم اللُّغتان في العناق الأليم وتتمازجان مثل قهوة الكاپوتشينو. لكنّ المسافة بين استكان الشاي وهذه القهوة تدعه مجروحاً بيأس متجدِّدٍ. فلم يعد يصدِّق إنّه هو سنيور شاتي، سنيور شاتي القابع هناك في المقهى، فرات عبد الحسن شاطي، هو الذي يحتلّ الآن سرير پاولا ويوغل، يوغل في لغته الأولى.

بغداد